معالم حضارية في حياة الأمة

بداية نعتذر للتأخير الذي طرأ على صدور المجلّة، ونأمل أن نواصل هذا المشروع بصورة أفضل وبمشاركة أوسع وبعد:

إنّ حياة الأمة الإسلامية مفعمة بالفرص والتحديات الحضارية. وهذا يدلّ على أن ثقافة هذه الأمّة تمتلك كل عناصر التفعيل نحو العودة الحضارية وهذه العناصر تبرز بمناسبة وأخرى داعية المسلمين إلى نهضة تعيدهم إلى مكانتهم اللائقة بين أمم الأرض. لكنّ هذه الدعوة محاطة اليوم بالتحديات الداخلية المتمثلة بألوان الضعف الثقافي والسياسي والشعوري، وبالتحديات الخارجية التي تلقي بكل ثقلها من خلال قوى الهيمنة العالمية لتصدّ أية حركة مستقبلية في الأمة.

يصدر هذا العدد في أشهر تقترن بفرص تحثّ على الاستئناف الحضاري. وكل منها كان كافيًا للإحياء وللاستنهاض لو أحسنّا التعامل معها.

الفرصة الأولى: الحج

إنه فرصة سنوية تمرّ على المسلمين.. تجمعهم وتوحّدهم في المكان والزمان والحركة والمشاعر والملبس، وتوجّه قلوبهم نحو مصدر عزّتهم وكرامتهم. نعم، إن شعائر الحج هي أكبر دعامة لبقاء الإسلام وبقاء الشعور بالأمة الواحدة، وبقاء بقايا الإحساس بالعزّة والكرامة.. لكنّ «منافع» الحج لا تنحصر في دائرة معينة، ولا في مدًى معين. إنه الشعيرة القادرة على ضخّ روح حيّة متدفقة في شرايين الأمة باستمرار، لترفعها إلى مستوى الأمة الشاهدة الوسط على ساحة التاريخ.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

غير أن هذه الفرصة مثل سائر الفرص محاطة بالتحديات.. تحديات فصل الدين عن الحياة.. وغياب المقاصد الكبرى لهذا الدين حتى على ألسنة كثير من العلماء.. بل وأفظع من هذا تحويل ساحة الحج إلى جدل حول الخلافات الفرعية.. وإثارة الحسّاسيات تحت شعار الدفاع عن «التوحيد»!! وكأن فهمَ التوحيد حِكرٌ على فئة معينة، أقل ما يقال عنها أنها العامل الأكبر على تخلّف الأمة.

لا نريدُ أن نبثّ همومنا في تضييع فرصة الحج، بل ندعو كل المهتمين بمستقبل الشعوب الإسلامية أن يرتفعوا بهمومهم إلى مستوى ما يواجهنا من تحديات. وأن يستثمروا فرصة الحج بتعاون إسلامي عام وبفهم دقيق لما يستطيع أن ينهض به هذا التجمع الإسلامي العظيم من «منافع» للمسلمين في عصرنا الراهن.

الفرصة الثانية: ذكرى عاشوراء

العاشر من محرم يعيد إلى الأذهان كل عام ذكرى عاشوراء وواقعة كربلاء سنة ٦١هـ.

الحسين بن علي (عليه السلام) رائد الإحياء الإسلامي في تاريخ المسلمين. لقد ضحّى بنفسه وأولاده وأهل بيته وصحبه من أجل أن:

- يحيي روح العزّة وإباء الذل.
- يثبّت مفهوم انتصار الدم على السيف.
- يثبّت المفهوم الإسلامي للانتصار والهزيمة.
- يقدّم الموقفَ العملي من الحاكم الظالم.
- يكسر القدسيّة الزائفة التي يحيط الفراعنة بها أنفسهم.
- يكسر حاجز الخوف والإرهاب في النفوس المهزومة.

وكلّها من عوامل النهوض الحضاري للأمة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إننا نشهد اليوم شعاراً يرتفع في كلّ العالم يردّد فيه أنصار المظلومين والمدافعين عن حقوق الشعوب يقول: «هيهات منا الذلّة» وهو الشعار الأساس لثورة الحسين.

وسمعنا إسماعيل هنية يردّد في أحداث غزّة: «سينتصر الدم على السيف» وهذا هو شعار يعبّر عن مضمون خطاب الحسين(ع) في كربلاء كما أنه شعار حفيد الحسين الإمام الخميني(رض).

انظر كيف يشتبك خطاب الإحياء في منظومة واحدة: «الحسين - الإمام الخميني - المقاومة الفلسطينية».

وإذا اعتبرنا العزّة العامل الأهم في الإحياء فإن الحسين(ع) رائد العزّة وبالتالي هو رائد الإحياء ورائد الحركة الحضارية في تاريخ المسلمين.

هؤلاء الروّاد يشكلون عناصر هامة في استنهاض الأمة متى ما اعتراها «فتور» في حركتها وانتكاس في مشاعرها.

غير أن الوضع البائس للعالم الإسلامي حَصَر الحسين في إطار طائفي، وتعامل مع ذكراه بإفراط أو تفريط.إما إفراط في التركيز على جانب المأساة واستثارة العواطف المجرّدة، والمبالغة في الحزن الذي يصل أحياناً إلى حدّ الجزع المذموم وارتكاب ما نهى عنه الشرع والعقل، وإما تفريط بتناسي الذكرى، وعدم الاهتمام بها، بل وحتى توجيه اللوم لمن يحييها!!

وهذا يتطلب من علماء الأمة من كل المذاهب أن يعلنوا بصوت واحد موقفهم من هذه الذكرى الإحيائية وسبل استثمارها لصالح استنهاض الأمة، عندئذ تخرج من الإطار الطائفي لتصبح قضية إسلامية، بل إنسانية وليكون الموقف منها في منأى عن الإفراط والتفريط.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفرصة الثالثة: يوم الغدير

قد يثير الحديث عن الغدير في مجلّة تهتم بالشأن الحضاري للأمة استغرابًا في بعض الأذهان.

ويعود الاستغراب إلى أن المسألة أحيطت بإطار طائفي، وقلّما تناولها أحد في إطار حضاري.

في اعتقادنا أن حادثة «الغدير» من أهمّ المعالم الحضارية في الإسلام إذا نظرنا إليها بالرؤية التالية:

١ – إن وقوع حادثة الغدير أي إعلان الرسول(ص) تولّي عليّ بن أبي طالب(ع) مهمة مواصلة الرسالة بعده وقوله: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» مما يجمع عليه المسلمون بكل مذاهبهم مع اختلاف في تفسير حدود المهمّة.

٢- إنّ هذا الإعلان - مهما فسّرنا دلالته - فهو يعني اهتمام رسول الله(ص) بأمر قيادة هذه الأمّة، وأنه لم يترك هذه الأمّة دون أن يقدّم لها النموذج الصالح للقيادة.

٣- بإجماع كل المسلمين وكل الباحثين في شخصية علي بن أبي طالب(ع) أن عليًا كان بين أصحاب رسول الله(ص) متميّزًا بالعلم.. وبنكران الذات.. وبالزهد .. وبالشجاعة.. وبالعدل .. وهي عناصر مهمّة للقيادة الحضارية.. أي للقيادة التي تستهدف توجيه المجتمع المسلم نحو رقيّه الحضاري بالمفهوم الإسلامي الإنساني للحضارة.

٤- كان موقف عليّ في زمن الخلفاء الثلاثة موقف مَنْ يحمل همّ الهدف الإسلامي الكبير، وهو المحافظة على سلامة المسيرة الرسالية من الانحراف، ولذلك تعاون وسدّد ونصح، بل عارض بشدّة من أراد أن يتخذ من مسألة الحكم وسيلة لإثارة فتنة في المجتمع الإسلامي.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥- أكبر المعوقات التي وقفت بوجه مسيرة الحضارة الإسلامية هو «المُلك العضوض» أو الحاكم الذي يستأثر هو وبطانته ببيت المال.. وليس له من العلم والمعرفة حظّ.. ويمارس البطش والقتل والتنكيل بكل من يعارضه من أبناء الأمة.. وبذلك يتحوّل الحاكم إلى «طاغوت»، بينما الهدف الأول للاسلام هو إلغاء كل طاغوت يصدّ الأمة في مسيرتها نحو الكمال المادي والمعنوي.. أي في مسيرتها الحضارية. من هنا فإن واقعة «الغدير» هي تقديم النموذج الذي يقي المسيرة من أكبر معوّق حضاري.

بهذه النظرة الرفيعة يجب أن نتعامل مع «الغدير» عندئذ تكون موضع اهتمام كل المعنيين بشأن «مستقبل» الأمة. لكن الذهنية المتخلفة حصرت هذه الواقعة في إطار طائفي، وجعلت من علي بن أبي طالب(ع)، الذي كانت وحدة الأمة الإسلامية أكبر همّه، جعلت منه وسيلة للتراشق الطائفي، ومن حادثة «الغدير» مناسبة تفريق بين المسلمين!!

دراسة شخصياتنا الإسلامية مثل شخصية علي بن أبي طالب(ع) وأحداثنا التاريخية مثل حادثة الغدير، من منظار حضاري توحّد نظرة المسلمين وتشدّها إلى المستقبل. وهو منظار إحيائي يلتقي مع هدف الإسلام : ﴿لما يحييكم﴾.

الفرصة الرابعة : انتصار المشروع الإسلامي في إيران

ذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران تثير في النفس ذكريات حلوةً مرّة.. هي حلوةٌ حين نقرأ فيها قدرة الإسلام على تفجير الطاقات وتعبئة الأمة ومواجهة التحديات.. قدرته على الهدم والبناء.. هدم أكبر قاعدة للتآمر على الإسلام والمسلمين، وأعتى قوة مدججة بالسلاح وبأجهزة الأمن الرهيبة وبالدعم الخارجي المتواصل.. وبناء

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

دولة تقوم على أساس الشورى والمشاركة الجماهيرية في إطار الشريعة الإسلامية.. وبناء مرافق الدولة بأسلوب حضاري، ودفع المسيرة العلمية نحو الابتكار والتطوير والتقدم، والمسيرة الفنية والأدبية نحو الإبداع والجمال، ونجحت في إعداد القوة اللازمة لمواجهة التحديات وحرب ثماني سنوات وألوان المؤامرات.

كما كان لها على الصعيد العالمي مواقف مبدئية من مناصرة المظلومين والمستضعفين، ومقارعة الظالمين والغاصبين.. وموقفها من القضية الفلسطينية أوضح من أن يقال.

لقد أنعشت هذه الثورة وما حققته من انتصار، الآمالَ في النفوس، وأحيت روح المقاومة والمطالبة بالبديل الإسلامي. وعمّت العالم الإسلامي خلال العقود الثلاثة الأخيرة صحوة غيّرت كثيرًا من المعادلات الإقليمية والدولية، وأحبطت كثيرًا من محاولات الإذلال والاحتواء.

والقائمة طويلة في المنجزات.. ويعود الفضل في كل ذلك إلى المشروع الإسلامي الذي انطلقت منه الأمة في إيران في هدمها وبنائها بقيادة رائد العزّة في عالمنا المعاصر الإمام الراحل الخميني (رض).

هذا هو الجانب الحلو من الذكرى.. والجانب المرّ هو ما تختزنه الذاكرة من مواقف «ذوي القربى» من هذه الثورة.

شنّوا عليها حربًا استمرت ثماني سنوات أهدرت طاقات إنسانية وماديّة هائلة..

وشنّوا عليها حربًا ثقافية اتخذت مسارًا طائفيًا تارة وقوميًا تارة أخرى.

لإن وضعت الحرب العسكرية أوزارها، ولقي المعتدون جزاء ما فعلوا، فإن الحرب الطائفية والقوميّة لاتزال تشنّ بين الفينة والأخرى.

من الطبيعي جدًا أن قوى الهيمنة العالمية وعلى رأسها أمريكا والصهيونية تبذل كل

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ما وسعها من جهد للانقضاض على الولادة الإسلامية..

لكنّ المؤسف والمؤلم هو هشاشة وضعنا في العالم الإسلامي على صعيد بعض النظم، بل وحتى على صعيد بعض المثقفين والإعلاميين، وبعض علماء الدين أيضًا. هذه الهشاشة التي تدخل منها قوى الهيمنة العالمية لشراء الذمم وللاستفزاز ولممارسة «لعبة الأمم».

نأمل أن تزول هذه المظاهر السلبية التي تعكّر صفو الذكرى بعزم إسلامي مشترك على الصعيدين الرسمي والشعبي لاستعادة عزة الأمة وكرامتها ولاستنهاضها واستئناف مسيرتها الحضارية.

الفرصة الخامسة: ذكرى انتصار غزّة

ما معنى الانتصار؟ إنه باختصار «الحياة».. نعم.. لقد أُريد لفلسطين أن تموت.. وللفلسطينيين أن يموتوا.. أي ليتحوّلوا إلى مجموعة بشريّة قابعة تحت ذلّ الاحتلال، همومها تنحصر في أن تأكل وتشرب وتتناسل دون أن تتطلع إلى أي هدف خارج هذا الإطار.. هذا هو شأن البهائم، شأن الذين فقدوا «الحياة» بالمعنى الإنساني للحياة وشاء الفلسطينيون أن يُصبحوا – بمقاومتهم – الرقم الصعب في المعادلات الدولية:

ظلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبوابْ ... يشحذُ خبزَ العدلِ من موائدِ الذئابْ ... ويشتكي عذابهُ للخالقِ التوّابْ ... وعندما أخرجَ من إسطبلهِ حصاناً ... وزيَّتَ البارودةَ الملقاةَ في السردابْ ... أصبحَ في مقدورهِ أن يبدأ الحسابْ.

بالمناسبة، هذه هي خطة الحركة الصهيونية للسيطرة على العالم بأجمعه. كل البشرية مهددة بمشروع صهيوني يستهدف السيطرة على العالم عن طريق نشر ثقافة تجعل الشعوب لا تفكّر إلاّ بغرائزها الجسدية وتبعدها عن كل ما يرتبط بالمعنى الإنساني

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

للكائن البشري من عزّة وكرامة وسموّ، والتركيز في هذه الخطة على أصحاب القرار في العالم!!

كل تحرك لمواجهة هذه الخطّة هو انتصار للإنسان.. لحياته وقيمه وكرامته وعزّته.

لقد تحركت الصهيونية مدعومة بأمريكا لاقتلاع روح المقاومة من الشعب الفلسطيني باسم إقامة سلطة موهومة، وحاولت أن تجعل منظمة «التحرير» سوطاً تقمع به قوى المقاومة والتحرير!! وحاولوا أيضا أن يشكلوا جبهة حول فلسطين باسم «المعتدلين» لدعم هذا المشروع.

غير أن الذي لم يفهمه أصحاب مشروع الإماتة هذا هو أنّ عنصراً يأبى على المسلمين أن يموتوا .. إنه عنصر الإسلام.

ليس هذا شعاراً نطلقه، بل هو حقيقة يثبتها التاريخ والواقع، وتثبتها كل دراسة لعناصر الثقافة الإسلامية.

ارتباط الإنسان بالإسلام، يعني ارتباطه بدرجة وأخرى بـمَثَل أعلى خارج ذاته، والخروج من الذات هو «حياة».. ويعني أنه مكلّف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وهو حركة تكاملية لتركيز ما ينفع الناس ودفع الزبد عنه.. وهي «حركة حياة».. ويعني أنه مدعو للحفاظ على عزّته وكرامته.. والعزّة حياة والكرامة حياة.. وهكذا كل عبادات الإسلام وتعاليمه تشكل المنظومة الثقافية التي تأبى على الإنسان المسلم أن تموت فيه «الحياة الإنسانية» وتأبى على أفراد المجتمع المسلم أن يتحولوا إلى «أنعام».

ولذلك كله حافظ المجتمع المسلم على «حياته» أو على «بقايا حياته» رغم ما تعرضت له الأمة منذ قرنين - على الأقل - لألوان عمليات التخدير والإذلال والإماتة.

غزّة هي اليوم مظهر حياة.. ومنطلق حياة.

إنها مظهر حياة لأنها سجلت أروع ملحمة للمقاومة.. مقاومة الاحتلال والإذلال والإماتة..

والجسد المقاوم حيّ.. وإلا أصيب بمرض فقدان المناعة أو «الايدز».. والمجتمع المقاوم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حيّ وإلا أصيب بايدز الإذلال..

من المؤكد أن الإعلام قاصر أن يبيّن لنا مشهد المقاومة في غزّة.. لكنّ ما استطاع أن يلتقطه يبيّن لنا ملاحم عظيمة ضخمة مدهشة.. يبيّن لنا صبرًا ومصابرة وصمودًا أمام القتل والتدمير.

حجم الصمود والمقاومة بحجم القتل وبحجم الدمار.. عظمة الصامدين تفوق في حجمها خسّةَ القتلة المعتدين.

هذا الصمود الهائل أمام الظالمين هو انتصار، لأنه أجلى مظاهر الحياة، ولأنه رفض عملية إماتة الشعب الفلسطيني، ورفض عملية تحويل فلسطين إلى ورقة يساوم عليها سماسرة الكراسي والمناصب، ويتآمر عليها الأذلاّء.

قلنا إن غزّة أيضا: «منطلق حياة». لأنها ضخّت في جسد الأمة دمًا جديدًا، وبعثت فيها حيوية قلّ لها نظير.

من أندونيسيا حتى المغرب ثارت الشعوب لتتعاطف مع غزّة، ولتعلن استعدادها للمناصرة بالمال والنفس، ولتعلن عن رفضها وإدانتها للصمت وللموت وللإذلال.

بل حتى في أوروبا وأمريكا الشمالية واللاتينية شاهدنا مثل هذه المظاهر الطافحة بالحياة.. بل التي تتجاوز أحيانًا في شجاعتها ومواقفها البطولية ما يحدث في أوساط «الأقربين» كما حدث في فنزويلا وبوليفيا.

غزّة.. مظهر حياة.. ومنطلق حياة.. وليس هذا فحسب، بل هي أيضًا كشفت عن مواضع الظلام والقبح والضعف والموت في عالمنا الإسلامي.

هذه المواضع التي شكلت ثغرات وعيوب نفذ منها أعداء الأمة، وحقًا: ما دخل اليهود من حدودنا .. وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا. كشفت غزّة عن العيوب بصورة واضحة كلّ الوضوح.

هذا الفرز الواضح المبين بين الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والأموات والأحياء هو هدف الرسالة السماوية التي تستهدف توضيح «النجدين» للإنسان: ﴿ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾

إن غزّة دعوة مضمّخة بالدماء والدموع ومفعمة بالتضحيات الجسيمة تدعو إلى الحياة.. إنها امتداد لدعوة القرآن حيث يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾.

الفرصة السادسة: ذكرى مولد عيسى المسيح (ع):

هذه الفرصة السنوية لها قيمتها الكبرى في رسم معالم الحوار الإسلامي ـ المسيحي، وفي استذكار حقيقة هامة هي مكانة منطقتنا الحضارية في انبثاق الرسالات السماوية.

الحوار الإسلامي ـ المسيحي يجب أن يتجه إلى إبراز القيم التي نادت بها الرسالات السماوية، وإدانة من يسيء إلى هذه القيم، وعلى رأسها كرامة الإنسان والعدل والسلام. غير أن هذا الحوار يأخذ أحيانًا، في ظروف الضعف والانهزام السائدة في عالمنا الإسلامي حالة تملّق زائف تجاه الدوائر الغربية والأمريكية التي تعتدي على كرامة الشعوب وتستهين بقيم الأنبياء!!

إن ميلاد السيد المسيح فرصة حوار إنساني جاد بين كل من يؤمنون بنبوة هذا الرسول الكريم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، لمواجهة هذا الاعتداء الصارخ على الإنسانية المعاصرة. ومن الطبيعي أن يسبقه بشكل جادّ أيضاً حوار بيني داخل منظومتنا الإسلامية.

وبعد..

ففي هذا العدد مجموعة من المقالات التي نرى أنها تصبّ في هدف الاستئناف الحضاري.

ونرجو من أصحاب الفكر أن يساندونا في هذا الهدف بأقلامهم واقتراحاتهم، ومن الله التوفيق.

التحرير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com